الطيور المهاجرة وعطاء السنين؛ قراءة فى صفحات الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات(*)

د. هاشم فرحات
قسم علوم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تمسك بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

قليلة هى الأعمال العلمية التى يتردد المرء عند مراجعتها لسبب من الأسباب، والتى كثيراً ما يكون الجانب العلمى والمعالجة المنهجية طرفًا فيها، بل سببًا أساسيًا من أسباب التردد. وهذا العمل الذى بين أيدينا واحد من الأعمال التى ترددت كثيراً أمام مراجعتها، لا لجانب سلبى يدخل فى إطار ما أشرت إليه، بل لسبب آخر، لا أظنه قد دفع أحداً فى يوم من الأيام إلى اتخاذ هذا الاتجاه السلبى عند مراجعة الأعمال العلمية، أعنى التردد عن مراجعته وإظهار جوانبها السلبية قبل الايجابية. هذا السبب هو ببساطة شديدة، معرفتى القوية، وعلاقتى الحميمة بأحد مؤلفى هذا العمل الفريد، وهو الأستاذ الدكتور سيد حسب الله، فالرجل يؤثرنى - كما يؤثر الكثيرين غيرى - بسجاياه الفريدة، وأخلاقه الطيبة، وطباعه المتميزة، وفكره الرصين، وتواضعه الجم، وأبوته النادرة، وشخصيته الكريمة، وأستاذيته المثالية . . إلى غير ذلك من شمائل أعجز عن حصرها. وإذا كان المثل الشهير يقول «بأن الطيور على أشكالها تقع»، فإننى أظنه يصدق تمام الصدق فى موقفنا الحالى، حيث نقل لى عن أهل ثقة أن الشمائل التى يتحلى بها شيخنا الدكتور سيد حسب الله، تلتصق كذلك برفيقه الأستاذ أحمد الشامى - الذى لم يسبق لى شرف التعرف على شخصيته الكريمة إلا من خلال كتاباته الأصيلة فى مجال الشبكات. فهأنا وجدتنى بين كفى رحى؛ عمل جدير بكل تقدير وإشادة، ومؤلفان يستحقان أعظم الثناء وأجمله، وكيف للمرء أن يتحدث عن عمل تحيط به هذه المشاعر، وكيف نقصر فى الوقت ذاته عن تعريف القارئ العربى بهذا العمل، وعن إبراز أهميته لأبناء التخصص، وبخاصة فى هذا التوقيت الذى صدر فيه العمل، والذى نحن فى أشد الحاجة فيه لمثل هذه الأعمال التى توصل الماضى بالحاضر، وتعكس على صفحاتها جانبًا من صورة هذا التخصص الفريد متمثلة فى مفردات تلك اللغة المشتركة التى تربط بين ألسنة أبنائه، وتتشابك عبرها لبنات أفكارهم، وتتلاقى عندها همومهم ومشاعرهم. هذا فى الوقت الذى تثير فيه مثل تلك الأعمال الجيدة، الدوافع لمزيد من الجهد المتواصل، وتشحذ الهمم عند جيل الشباب لحمل راية الإنتاج والعطاء والتخفيف عن كاهل الشيوخ - توقيراً بالطبع لا تجهيلا. وللشباب المثل الأعلى فى مؤلفى هذا العمل، وهما من الطيور المهاجرة عن أوطانها الأصلية، والمقيمة فى مجتمعات وفرت لهما أسباب العطاء والإنتاج، حيث يقيم

(*) أحمد محمد الشامى، سيد حسب الله. الموسوعة العربية لمصطلحات المكتبات والمعلومات والحاسبات. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ٢٠٠١. ٣مج.

أولهما فى أرض طاهرة شريفة، حبيبة للقلب قريبة للوجدان، أدام الله عزها وفضلها، ويقيم الآخر فى مجتمع تأصلت فيه جذور هذا التخصص، ونمت فيه أغصان تقنيات المعلومات التى لا تفتأ يومًا أن تذبذب حياة هذا التخصص ذاته ما بين مد وجذر. وهما كذلك ممن تجاوزا مرحلة الشباب - أمد الله - سبحانه وتعالى - فى عمرهما وبارك لهما فيه - ومع ذلك لم يركنا إلى الراحة والتخلى عن العطاء، بل واصلا العطاء - وسيظلان بإذن الله - وكانت ثمرة هذا العطاء ذلكم العمل الذى بين أيدينا.

من المعروف أن الطبعة الأولى من هذا العمل صدرت منذ ما يقرب من أربعة عشر عاما، وبالتحديد فى عام ١٩٨٨. وكانت هذه الطبعة تمثل بما جمعت وأوعت من مصطلحات الموقف فى ذلك الوقت، غير أن التحولات المتسارعة التى أحاطت بالعالم منذ ذلك الحين، نتيجة للتطورات الهائلة فى تقنيات المعلومات، وما ارتبط بها من تطورات فى برمجيات الحاسبات وعدتها وعتادها، وفى تقنيات الاتصال عن بعد، وما أثمر عن ذلك من نشأة شبكات المعلومات الموسعة على المستويات الإقليمية والدولية. كل تلك التحولات كان لها آثارها الواضحة على مجال المكتبات والمعلومات، ومن ثم تغيَّر الكثير من المفاهيم التقليدية، ونشوء مفاهيم جديدة، وتوجهات حديثة، ورؤى مختلفة لكل جوانب التخصص، وعلى مختلف محاوره وجبهاته، سواء على المستوى النظرى الأكاديمى، أم على المستوى التطبيقى الميدانى، وبالتالى ظهور مفردات ومصطلحات مستحدثة تعبر عن تلك التطورات وتعكس حقيقتها، وهى مصطلحات إن لم تجمع وتعرّف بين كل بنى هذا التخصص والمهتمين به، لضعفت لغة الحوار بينهم، ولتفرقت بهم الأسباب فى مناقشة قضاياه، والتعرف على همومه والتغلب عليها. من هذا المنطلق، وإدراكًا من مؤلفى هذا العمل بضرورة هذه المهمة، وبخاصة لأبناء التخصص فى البيئة العربية، جاءت هذه الطبعة الثانية التى حملت الكثير من الخصائص التى تميزها عن سابقتها شكلاً وحجمًا ومضمونًا. والتى يمكن الإشارة إلى أهمها فى النقاط التالية:

أولاً: من حيث الشكل، فقد جاءت هذه الطبعة فى ثوب جميل من الطباعة الفاخرة، المزودة بالصور والتوضيحات والأشكال التى تدعم استيعاب النص، وتضفى قدرًا كبيرًا من السهولة فى تقبل الكثير من المفاهيم، وربطها ببيئتها الميدانية التطبيقية.

ثانيا: من حيث الحجم، فقد جاءت هذه الطبعة فى ثلاثة مجلدات، يبلغ عدد صفحاتها مجتمعة ٢٣٦٩ صفحة، بدلاً من ١٢٠٦ صفحات للطبعة الأولى، أى بتضاعف صفحات هذه الطبعة الأخيرة تقريبًا. ولاشك أن ذلك يرجع إلى الزيادة الهائلة فى عدد المصطلحات الجديدة التى أضيفت إلى هذه الطبعة الأخيرة. ومما يجدر الإشارة إليه أن مجموع المصطلحات التى تضمنتها هذه الطبعة وصل إلى ٢٢٩٣٥ مصطلحا، أى بمتوسط ما يقرب من عشرة مصطلحات فى الصفحة الواحدة.

ثالثًا: من حيث المضمون، اتسع مجال العمل اتساعًا افقيًا كبيرًا فى طبعته الأخيرة هذه، لا ليقتصر على مجال المكتبات والمعلومات والأرشيف، بل ليشمل مجال الحاسبات، من ناحية. ثم اتسع مرة أخرى اتساعًا رأسيًا ليشمل جميع المجالات المستحدثة، وبخاصة فى مجالى مناهج البحث فى مجال علم المعلومات،

وليغطى بالتالى كل ما يتصل بالدراسات الببليومترية، أو تحليل الاستشهادات المرجعية، ثم مجال تكنولوجيا المعلومات، وما يتصل به من مجالات أخرى مرتبطة به أو منبثقة عنه، كنظم المعلومات الآلية، ونظم التخزين والاسترجاع، وشبكات المعلومات والاتصالات، والإنترنت، والنسيج العنكبوتى العالمى. . . وغيرها. ولعل هذا التوسع كان من أهم دوافع تغيير عنوان العمل فى طبعته الأخيرة تغييرًا واضحًا عما كان عليه فى طبعته السابقة، وتمثل هذا التغير فى جانبين، أولهما العدول عن كلمة «المعجم الموسوعى» وتوسعة مجالها لتصبح «الموسوعة»، ثم بإضافة كلمة «الحاسبات» إلى العنوان. وبالتالى أصبح عنوان العمل: «الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسبات».

ونوجز فى الفقرات التالية أبرز الملامح العامة للموسوعة، فمن الملاحظ أنها تكونت من ثلاثة أقسام رئيسة، جاءت على النحو التالى:

القسم الأول: وخصص للأرقام والرموز المستخدمة فى المجال، وبخاصة فى البيئة الإلكترونية، وعند التعامل مع الحاسبات والشبكات. وقد شغل هذا القسم ستًا وعشرين صفحة من صفحات الموسوعة، وتضمن ما يقرب من ١٧٣ رمزًا ورقمًا. وقد جاءت الرموز فى أول هذا القسم متبوعة بالأرقام، مرتبة ترتيبًا تصاعديًا وفقًا لكود لنظام الكود القياسى الأمريكى لتبادل المعلومات والمعروف باسم «آسكى»، والذى سنشير إليه فى فقرة لاحقة.

القسم الثانى: المتن، ويتضمن جميع المصطلحات البالغ عددها - كما أشرنا فى فقرة سابقة - ٢٢٩٣٥ مصطلحا، وقد رتبت هذه المصطلحات ترتيبًا هجائيا بنظام الحرف بحرف، وليس الكلمة بكلمة، وقد استند المؤلفان إلى بعض الاعتبارات المهمة فى هذا الصدد، والتى تتلخص فى النقاط التالية:

١ - عندما يتضمن المصطلح حروفا وأرقاما، فإن اللفظ المصحوب بحروف يرد أولا ثم يتبع باللفظ المصحوب بأرقام.

٢ - لا تؤثر الفاصلة التى تفصل بين الكلمتين المكونتين للمصطلح المركب، فى الترتيب، عندما ترد تلك المصطلحات المركبة معكوسة، وليس فى بنائها الطبيعى.

٣ - فى حالة ورود كلمتين متطابقتين فى حروفهما، ولكن تبدأ إحداهما بالحروف المكبرة أو العالية، والأخرى بالحروف الصغيرة، فإن الكلمة التى تبدأ بالحروف العالية ترد أولاً.

أما عن منهجهما فى صياغة المداخل والتعريفات والمختصرات، فيتلخص فى النقاط التالية:

١ - جميع المداخل الإنجليزية، رافقتها مقابلاتها العربية، التى قد تكون واحدة أو أكثر، على أن يفصل بين المقابلات العربية بنقطة أمام المدخل الرئيسى. ترد بعد ذلك التعريفات مرقمة ترقيمًا مسلسلاً إذا كان هناك أكثر من تعريف.

٢ - جميع المداخل الإنجليزية تبدأ بحروف صغيرة، إلا إذا كانت الكلمة يجب أن تبدأ بحرف عال، مثل أسماء الأعلام والأماكن.

٣ - يعطى التعريف دائمًا تحت الشكل الكامل للمدخل، ويحال إليه من الشكل المختصر، إلا إذا كان الشكل المختصر هو الشائع.

٤ - جميع المختصرات التى وردت كمداخل، رافقها شكلها الكامل بين قوسين، كما أحيل من الشكل الكامل - فى ترتيبه - إلى هذا الشكل المختصر.

٥ - فى حالة المصطلحات البديلة أو

المترادفات، يحرص المؤلفان على تثبيت المصلح الشائع كمدخل، ثم يرد الشكل البديل أو المرادف فى نهاية التعريف بهذا المصطلح، مع الإشارة إلى ذلك بواحدة من العبارات التالية: يسمى أيضًا، أو يطلق عليه أيضًا، أو يطلق عليه أحيانًا. وقد بدت اللمسات اللغوية واضحة فى هذا العمل، حيث تطرق المؤلفان إلى إبراز بعض الجوانب اللغوية المتصلة ببعض المصطلحات، ففى حالات كثيرة درج المؤلفان على استخدام عبارات، مثل: «مشتق من اللاتينية»، أو «مشتق من اليونانية»، للإشارة إلى أصل المصطلح، أو «مصطلح بريطانى»، أو «مصطلح أمريكى» للدلالة على هوية المصطلح، والتمييز بين المصطلحات التى تبدو بينها فروق طفيفة فى شكلها البريطانى عن الأمريكى.

وتعد الإحالات من أبرز الملامح الواضحة فى العمل، حيث تضمن شبكة متينة من الإحالات التى تربط بين مفردات العمل ومداخله وجزئياته ربطًا قويًا يجعل الباحث ملمًا بجميع أطراف المداخل وفرعياتها وما بينها من علاقات، ليست موضوعية فحسب، بل ما بينها من علاقات لغوية كذلك، وقد بلغت هذه الإحالات ١٠٨٣٥ إحالة، ووزعت على أربعة أنواع هى:

أ ـ إحالة See، وتستخدم للإحالة من اللفظ أو المدخل غير المشروح إلى المدخل المشروح، وبلغ عدد هذه الإحالات ٣٩١٥ إحالة.

ب ـ إحالة See also، وتستخدم للربط بين الألفاظ ذات العلاقة الموضوعية القوية، سواء أكانت علاقة أفقية متساوية، أم علاقة رأسية، أى من الكل للجزء أو العكس، أو من الأكبر للأصغر. وبلغ عدد الإحالات فى هذه الفئة، ٤١٨٩ إحالة.

ج ـ إحالة (راجع:)، وتستخدم للإحالة إلى لفظ ورد فى الشرح أو التعريف، وللقارئ بالطبع الخيار فى الرجوع إلى اللفظ الذى تشير إليه هذه الكلمة، إذا كان الشرح غير واضح بالنسبة له. وقد بلغ عدد هذه الفئة من الإحالات، ٢٥٨١ إحالة.

د ـ إحالة (انظر)، وتستخدم للإحالة من مدخل غير مستخدم أو غير متضمن تعريفات إلى المدخل المستخدم، والذى يجده الباحث معرفًا ومتضمنًا لشروح، فى الوقت نفسه، عادة ما ينتهى هذا المدخل المشروح بإحالة إلى ذلك المدخل غير المشروح، ولكن بعبارة «يسمى أيضًا». وقد بلغ عدد إحالات انظر (١٥٠) إحالة.

القسم الثالث: الملاحق، ويتضمن العمل سبعة ملاحق، شغلت ثمانى وخمسين صفحة، وجاءت على النحو التالى:

ـ **الملحق الأول:** وهو خاص بالمختصرات والرموز المستخدمة فى مجال المكتبات وتقنيات المعلومات والحاسبات، ويعد هذا الملحق من أكبر ملاحق الموسوعة، إذ يضم ما يزيد على ثلاثة آلاف مختصر، وقد شغل هذا الرصيد من المختصرات سبعًا وثلاثين صفحة من صفحات الموسوعة المكونة من عمودين.

ـ **الملحق الثانى:** وهو خاص بأسماء مجموعة مختارة من مجموعات المناقشة والاهتمام المشترك فى المجال، وتضمن عناوين ٢٥ مجموعة.

ـ **الملحق الثالث:** وهو خاص بمجموعة الكود القياسى الأمريكى لتبادل المعلومات، المعروف استهلاليا بآسكى ASCII، وإذا كان من المعروف أن هذه المجموعة من الأكواد تنقسم إلى فئتين: المجموعة القياسية STANDARD التى تتألف من الرموز الثمانية والعشرين الأولى، من صفر ـ

١٢٧ ، والمجموعة الموسعة EXTENDED التى تتألف من الرموز من ١٢٨ ـ ٢٥٥ ، فإن هذا الملحق يضم المجموعة الأولى ، ولكنه لم يشر إلى ذلك ، أى على أنها المجموعة القياسية .

ـ **الملحق الرابع**: وخصص للمجموعة الثانية من رموز آسكى ، والتى أشرنا إلى أنها تعرف بالمجموعة الموسعة ، وقد جاءت بعنوان «مجموعة IBM للرموز الموسعة» .

ـ **الملحق الخامس**: وخصص لمجموعة Apple Macintosh الموسعة ، التى تتألف من رموز آسكى الموسعة التى أشرنا إليها فى الفقرة السابقة (الرموز من ١٢٨ ـ ٢٥٥) ، والتى تم الاستعانة بها للتعامل مع الحاسبات الشخصية من طراز Apple Macintosh .

ـ **الملحق السادس**: وهو عبارة عن مجموعة أكواد تبادل الترميز العشرى الثنائى المطول ، والتى تعرف اختصاراً بمجموعة رموز إبسى دك EBCDIC (Extended Binary Code Decimal Interchange Code) ، وهذه المجموعة تتألف ـ على أية حال ـ من ٢٥٦ رمزا (من صفر ـ ٢٥٥) ، ولا تستخدم مع الحاسبات الشخصية ، وإنما تستخدم أساساً مع حاسبات آى بى إم الضخمة .

ـ **الملحق السابع**: وهو خاص بالمقابلات الرقمية NUMERIC EQUIVALENTS للترميز الثنائى المستخدم مع أجهزة الحاسبات .

وإذا كانت تلك أبرز ملامح هذا العمل القيم وخصائصه ، فلنا بعض الملحوظات التى كنا نود أن يتداركها المؤلفان حتى تكتمل الصورة البراقة ، وهى ملحوظات لا تنقص من قيمة العمل على كل حال .

أولى هذه الملحوظات يتمثل فى عدم وجود كشاف هجائى للمصطلحات باللغة العربية ، فالعمل يمكن الباحث من الوصول إلى أية مصطلحات يبحث عنها طالما كانت باللغة الإنجليزية ؛ حيث رتب العمل ترتيبا هجائيا بمفردات هذه اللغة ، ولكن ماذا لو أن باحثا لديه مصطلح باللغة العربية ويود الحصول على تعريف له ، أظنه سيعجز عن ذلك ما لم يقم أولا بترجمة ذلك المصطلح إلى مقابله باللغة الإنجليزية ، وتلك هى المهمة الأساسية التى كان من المفترض أن يتولاها هذا العمل ويغنى الباحث مئونة الرجوع إلى المعاجم اللغوية التى تفتقر عادة إلى دقة حصر تلك المصطلحات المتخصصة ، وإذا ما اجتهد الباحث فى صك المصطلح الأجنبى المقابل ، فما الضامن إذن لعدم وقوعه فى شرك عدم التوحيد والتفاوت فى ترجمة المصطلحات .

أما الملحوظة الثانية: فتتمثل فى عدم التوازن الملحوظ فى تعريفات وشروح المداخل ، حيث لوحظ اتساع شروحات بعض المداخل لتصل إلى بضع صفحات ، فى حين أكتفى بالمقابلات العربية لبعض المداخل الأخرى دون تقديم أية تعريفات لها .

والملحوظة الثالثة: فتتصل بعنوان العمل ؛ حيث يشير إلى طبيعة العمل على أنه موسوعة للمصطلحات ، والسياق هنا لا يحتمل وجود كلمة مصطلحات ، فالموسوعات عادة تعرف بالموضوعات أو بالمفاهيم ، أما التعريف بالمصطلحات فتلك مهمة معاجم الترجمة ، والمعاجم الموسوعية على وجه التحديد .

أما الملحوظة الرابعة: وهى تأتى من منطلق إشارة المؤلفين إلى خروج العمل عن إطار المعاجم الموسوعية وتحوله إلى الموسوعة ، فمن الواضح أنهما لم يوليا أى اهتمام للتعريف ببعض الاعلام المبرزين فى المجال ، صحيح قد يقال إن ذلك من مهمة كتب التراجم ، لكنه فى

الوقت ذاته بات من المهام التى تحرص عليها كثير من الموسوعات المتخصصة والتى لها وجاهتها وما يبررها.

ومن هذه الملحوظة الأخيرة، أجدها فرصة مواتية لإعادة طرح قضية حيوية أظن أن الوقت قد حان لحسمها، وعدم تهميشها، بل جعلها فى سلم أولوياتنا فى هذه المرحلة، وهى قضية غياب الموسوعة العربية لعلم المكتبات والمعلومات، فليس من المقبول أن يخلو هذا المجال الذى اكتملت بنيته التحتية بكل ما تحمل الكلمة من معان، من موسوعة تجمع رصيده المعرفى العربى، وبخاصة فى ظل توافر كل مقومات هذا العمل فى بيئته العربية. ولعل هذا العمل الذى بين أيدينا قد وضح حجر الأساس، وأرسى القواعد، وفتح الباب أمام جهود أبنائه لينطلقوا إلى تحقيق هذا الهدف المنشود الذى لا أظنه غائبًا عن بؤرة اهتمام، بل هموم كل المنتسبين لهذا التخصص، دراسة وبحثا، وممارسة وتطبيقا، فى مختلف مؤسساته الأكاديمية والبحثية والميدانية. ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال عدة محاور متكاملة، توضع فى شكل خطة مستقبلية، تناقش فيها البرامج التنفيذية لمحاور هذه الخطة وأبعادها، وأعتقد أن هذه الخطة ليست بعيدة المنال، ولا يعوزها سوى توافر النية الخالصة، والعزيمة القوية، من قبل إحدى الجهات المهنية التى تأخذ بزمام المبادرة وترعى العمل وتسعى جاهدة إلى تحقيق الهدف. ومرة أخرى يمكن أن يكون العمل الذى بين أيدينا هو الأساس الذى يستند إليه فى اختيار الموضوعات، وتحديد القضايا التى تشكل جوهر العمل وجزئياته، مع شىء يسير من التعديل أو الإضافة التى قد تفرضها طبيعة الموسوعة، وربما يتساءل البعض عن مدى قبول المؤلفين لهذا التوجه، وهأنا بدورى أؤكد للقارئ الكريم، بأنها رغبة وأمل كثيرا ما راودا المؤلفين، وقد أفصحا عنهما مرارا، بل أبديا كل الترحيب والاستعداد لدعم الفكرة وتنفيذها.

وأخيرًا ندعو المولى - سبحانه وتعالى - أن يحقق هذا الطموح، وأن ينفع بهذا العمل، ويجعله فى ميزان عمل مؤلفينا الجليلين، وأن يمد الله فى عمرهما، وأن يبارك لهما فيه، إنه هو ولى ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.